برنامج أنوار كاشفة موضوع: الكل باطل وقبض الريح

أهلا ومرحبا بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. والذي سنسلّط فيه الأضواء على مشكلة عملية يواجهها كل واحد منّا.

أجل إن العالم مليء بالعروض والمغريات التي تحاول أن تخدع الإنسان وتجذبه. ولعل أبسط مثال على ذلك هو عندما ننزل إلى السوق لشراء حاجة ما، فنفاجئ بالأنواع المختلفة، وهكذا نقف محتارين أيا منها نختار. وهكذا في حياتنا فإننا في سعينا نحو سعادة نفوسنا، نواجه العديد من المغريات التي تحاول أن تجذبنا إليها. فهناك إغراء تحصيل المال، وإغراء الحصول على الشهادات العلمية، وإغراء المنصب العالي أو الشهرة.

والمشكلة الكبرى أن الإنسان يظن وخاصة عندما يكون في سن الشباب، أن بحصوله على بعض هذه المغريات، أو حتى واحدة منها، سيحصل على السعادة التي طالما تمنّاها وحلُم بها. لكن الحقيقة المؤلمة أن كل هذه الأمور لن تجلب السعادة إلى الإنسان، بل على العكس تماما ستزيده تعاسة وفراغا. ولعل هذا ما اختبره الكثيرون على مر العصور. وكم من غني أو شخص مشهور أقرّ واعترف أن ما حصل عليه من مال أو شهرة، قد زاده تعاسة وألما، ولم يأت بالسعادة التي كان يحلم بها. لا بل كم من فنان مشهور أو فنانة أقدما على الإنتحار يأسا من الحياة، بعد أن كانا يمتّعان الجمهور بأعمالهما الفنية الباهرة. والسبب لأن هذه الأشياء جميعها لا تُروي النفس أو تشبعها من الداخل.

ولقد نبهنا إلى هذا الأمر منذ مئات السنين الملك سليمان الحكيم ، إذ كتب قائلا: " بنيت لنفسي بيوتا غرست لنفسي كروما. عملت لنفسي جنات وفراديس وغرست فيها أشجارا من كل نوع ثمر. عملت لنفسي برك مياه لتُسقى بها المغارس المنبتة الشجر. قنيت عبيدا وجواري وكان لي وُلدان البيت. وكانت لي أيضا قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا في أورشليم قبلي. جمعت لنفسي أيضا فضة وذهبا وخصوصيات الملوك والبلدان. اتخذت لنفسي مغنين ومغنيات وتنعمات بني البشر سيدة وسيدات. فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلي في أورشليم. وبقيت أيضا حكمتي معي. ومهما اشتهته عيناي لم امسكه عنهما. لم امنع قلبي من كل فرح. لأن قلبي فرح بكل تعبي وهذا كان نصيبي من كل تعبي." وختم الملك سليمان الحكيم قائلا: " ثم التفت أنا إلى كل أعمالي التي عملتها يداي وإلى التعب الذي تعبته في عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس." (الجامعة١: ٤-١١)

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

كان هذا هو اختبار الملك سليمان الحكيم، الذي استطاع الحصول على كل مغريات العالم، ظانا أنها ستجلب له السعادة، فإذا به يكتشف أنها جميعها لم تستطع أن تروي نفسه العطشى أو تشبعها.

لقد كان الملك سليمان، ملكا حكيما فاقت حكمته الآفاق، وكان ملكا عظيما ومشهورا وغنيا. وكما قال فقد بنى لنفسه البيوت وغرس الكروم والحقول، وعمل الجنّات والفراديس. واقتنى الكثير من البقر والغنم. كانت عظمة غنى سليمان مذهلة. فقد أتته سفنه مرة محملة بأربع مئة وعشرين وزنة ذهب. وكانت له أساطيل تجارية في بحر الهند والبحر الأبيض المتوسط، فجلبت له الذهب والفضة والنحاس والعاج والبوص. وأتت له أيضا بالخيل والمركبات والطواويس. وكان في خدمة الملك سليمان عشرة آلاف يأكلون من مائدته. وكانت له آنية فضة وآنية ذهب. وقُدرت قيمة دخله سنويا بما يعادل عشرة ملايين دولار تقريبا. واتخذ الملك سليمان الحكيم المغنين والمغنيات، وكانت له سبع مئة من الزوجات، وثلاث مئة من السراري أي الجواري. لا بل حصل على كل ما اشتهته عيناه. فهل هناك أعظم من هذا الإختبار؟

ودرس الملك سليمان الحكيم كل العلوم التي كانت تدّرس في عصره، وفاق فيها كل علماء عصره المشهورين. فدرس علم النبات وعلم الحيوان وعلم الطيور، وكتب الأمثال وكتب الحكمة والقصائد. لكن بالرغم من كل ذلك كتب سليمان الحكيم عن اختبار قائلا: أن الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس. لماذا؟ لأن كل هذه العظمة والشهرة والمقتنيات والمشتهيات لم تستطع أن تروي نفسه أو تشبعها. وماذا عنك صديقي المستمع؟ هل مازلت تظن أن مغريات هذا العالم ومقتنياته ومشتهياته ستجلب لك السعادة التي تتوق إليها؟

لكن الملك سليمان الحكيم عاد وكتب في ختام سفر الحكمة الجامعة قائلا: " فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس فيها سرور. وأضاف سليمان الحكيم قائلا: والشهوة تُبطل لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي.. فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها. فلنسمع ختام الأمر كله. اتّق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يُحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيرا أو شرا." (جامعة١٢:١و١٣،٧،٥،١٤)

إذن، إن كانت كل مغريات ومشتهيات العالم باطلة، ولا تجلب للإنسان السعادة، وإذا كان لابد للإنسان يوما ما أن يموت ويقف أمام الله الديّان العادل، لكي يُحاسب على أعماله، لهذا عليه إذن أن يتقي الله ويحفظ وصاياه. مع العلم يا صديقي أن التقوى الحقة، وحفظ وصايا الله، لابد أن يرويا نفوسنا العطشى من الداخل، ويشبعا قلوبنا الحائرة. أي أن التقوى الحقة ستجلب لنا ما فشلت عن تحقيقه مغريات العالم ومشتهياته.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

لعل السؤال الآن: كيف تكون التقوى الحقة؟ وهل باستطاعتنا حفظ وصايا الله؟ جوابا عن هذه التساؤلات نقول: إن التقوى الحقة لا تكون بالتدين، أو بممارسة فرائض الدين من صلاة وصوم وإحسان. صحيح أن التقوى تحتوي على هذه الأمور، لكنها أعمق من ذلك بكثير. فالممارسات الدينية تأتي نتيجة للتقوى الحقة. إن بداية التقوى الحقة تكون بأن نعترف أننا خطاة وبحاجة إلى رحمة الله ونعمته. وهكذا نتوب عن خطايانا، ونطلب من الله الغفران، ثم نؤمن بالمخلص المسيح الذي أرسله الله لكي يموت على خشبة الصليب للتكفير عن ذنوبنا، وأقامه حيا من بين الأموات، لكي يهبنا الحياة الجديدة والخلود. وعندما نتوب ونؤمن بالمخلص المسيح، يهبنا الله الغفران الكامل عن ذنوبنا، ويخلقنا خليقة روحية جديدة. وهكذا نستطيع كأولاد لله أن نحفظ وصاياه، ونسلك في مشيئته، ونعمل بحسب مرضاته. هذه هي التقوى الحقة يا صديقي. وعندها لابد أن ترتوي نفوسنا العطشى، ونحصل على السعادة الحقة التي طالما سعينا إليها، وحلمنا بها. لا بل يملأ الفرح الحقيقي العجيب قلوبنا الحائرة.

ولقد أكد المخلص المسيح هذه الحقيقة عندما صرّح قائلا: " كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية." (يوحنا٤:١٣و١٤) أي أن من يشرب من ملذات ومشتهيات ومقتنيات هذا العالم، لابد أن يعطش باستمرار، لأن هذه الأمور لن تجلب له السعادة الحقة. بينما من يشرب من ماء الخلاص الذي يهبه المسيح فسيجد ضالته ولن يعطش إلى الأبد. لا بل سيحصل على الحياة الأبدية. فهل تتوق مستمعي أن تحصل على هذه السعادة الحقة؟ أو لا ترغب أن تنال خلاص الله، وتحيا إلى الأبد؟ تعال إذن بتوبة صادقة وإيمان أكيد بالمخلص المسيح.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service